الشيخة منامة ديناصور دنيا

مسرحيات

عبد اللطيف بن سالم

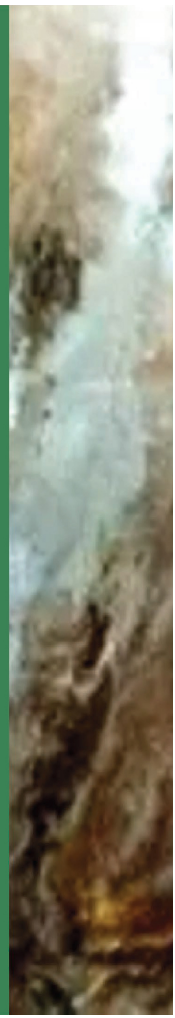

مومنت
كتب وفنون

عبد اللطيف بن سالم

منامة دينا صور الشيخة دينا

ثلاث مسرحيات

منشورات مومنت™

All Rights Reserved ® Moment Books
مومنت للكتب والنشر
2021
كل الحقوق محفوظة

هذا الكتاب مبنى ومعنى على مسؤولية مؤلفه ولا تتحمل مومنت للكتب والنشر ولا العاملين فيها والا المنضوين تحتها أية تبعات تنجم عن ذلك

tuniment@gmail.com

مقدمة

أمسرحٌ في زمن الكورونا؟

لا شك أن هده النصوص المسرحية لا يمكن أن تتحقق على الرّكح بالفعل والعمل إلا في المستقبل الذي نتمنى جميعا أن يكون في القريب العاجل بعد قضائنا على "كورونا" كوفيد 19 هذه الجائحة أو التغلّب عليها بالوسائل الممكنة إذ أنّه لا يمكن تفعيل هذا المسرح والاعتبار به في هذه الفترة من الزمن والناس محكومون في الغالب بالحجر الصحي أو ملزمون بالإجراءات الوقائية المقررة من الدول من مثل عدم التجمع والتباعد الجسدي والمحافظة على مسافة الأمان عند التقابل بين الأفراد أو بين الجماعات.

إنه إذن مسرح الأمل، مسرح الغد المؤمّل، مسرح المستقبل الذي نتمنى جميعا أن يُساعدنا على استخلاص العبر من كل ما جرى في هذه الحقبة من الزمن ومن كل ما لا يزال يجري حولنا من التأزم عسانا

ننتبه سريعا إلى أخطائنا ونعمل على تداركها من الآن ولا نعود إليها مستقبلا ونشرع في حياة جديدة بكل ما يمكن أن نحضّره لأنفسنا من الاحتياطات اللازمة للوقاية من أي خطر يُمكن لاحقا أن يُهدّدنا وعسى أن تكون لنا هذه المصيبةُ التي أصابتنا في هذه المرحلة من تاريخنا درسا مفيدا لضرورة تكتل كل القوى البشرية وتعاونها من أجل مستقبل أفضل للإنسانية قاطبة تقل فيه عُقد الاستعلاء والرغبة في الهيمنة و تزول فيه ولو تدريجيا النّزاعاتُ والحروبُ والأزمات ويعُم السلام بيننا ما بقينا أحياء. فلابد إذن من التساؤل الآن حول هذه "الكورونا"، مبدئها ومنتهاها وتداعياتها.

ما "كورونا" هذه؟

ليس من اختصاصنا البحثُ في كورونا هذه من الناحية الفيزيولوجية أو البيولوجية ولكن علينا أن نتناولها من وجهة نظرنا فيها من الناحية الاجتماعية في علاقتها بالطبيعة وبالأرض أمّنا "الشيخة" المريضة منذ مدة طويلة ونحن لا نبالي بها ولا نفكر كما يجب في علاجها

والعناية بها رغم التآم العديد من المؤتمرات من أجلها ولكن بدون جدوى.

فـ "كورونا" هذه إذن من الناحية النظرية هي خلاصة أو لنقل إنها من نتائج ما حدث لهذه "الشيخة " من المصائب ومن المضار أو بتعبير مجازي هي بمثابة الطفل الصغير الذي يسير أمام والده في شارع مزدحم بالمارة ويضيع عنه فجأة فيأخذ في الصياح: أبي، أبي، وبمساءلته والتعرّف عليه يمكن لنا معرفة والده وأهله وذويه وعائلته ومصادر تكوينه التربوي والثقافي والحكم له أو عليه. فلابد إذن من التساؤل حول هذه الجائحة وما أو من كان المتسبّب في ظهورها في هذه الحقبة من الزمن عسانا في الأخير نهتدي إلى فهم واضح وأكيد لما جرى لهذه "الشيخة" أمنا الطبيعة والتي اتخذناها عنوانا لإحدى مسرحيات هذا الكتاب هذه وما الذي لا يزال يجري لها في الوقت الحالي ما جعلها مريضة وفي حاجة ملحة إلى علاجها والعناية اللازمة بها حتى لا تزول ونزول نحن معها كما زالت وانقرضت العديد من الكواكب الأخرى قبلها وبالتالي قد نقدر هكذا على تكوين

تصور ممكن وصحيح لمقتضيات هذه "الدنيا" وأحوالها في علاقتها بها وبنا.

لا شك أن يكون أيّ عمل ثقافي (ومن أي نوع من الثقافة) في هذه الفترة من الزمن متأثرا إذا لم يكن مستوحى من وضع الإنسان المتأزم في هذه المرحلة من تاريخه إذ بعد الحروب المتتالية التي عاشها في القرن الماضي القرن العشرين ها هو يبدأ حياته في مطلع هذا القرن الواحد والعشرين أيضا بمواجهة صعبة مع جائحة كورونا هذه والتي لا تختلف في فعلها وفي مضارّها عن حرب عالمية أخرى مدمرة إذ فقد فيها أيضا الملايين من بني جنسه ولا ندري بالضبط متى تنتهي معاناته منها أو أنها أبدا لا تنتهي. وفي رأينا المتواضع فإن كورونا هذه هي: الطبيعة تنتقم لنفسها من البشر.

ولمن يتعجب ويستغرب لما يحدث اليوم في العالم أقول: لا عجب ولا غرابة في الأمر لأنها النتيجة المنتظرة منذ زمن بعيد من الخبراء بآلام الأرض وأوجاعها. وقد وقع التحذير منها ولكن لا أحد قد نظر في الأمر أو تأمل ولا أحد قد صدق واستوعب رغم التآم أكثر من ندوة مناخ

في أكثر من عاصمة في العالم وأوصت كلها بضرورة اتخاذ الحذر مما قد يصيبنا في القريب العاجل ولم تُصدق ولم تبال أمريكا وغيرها من القوى المسيطرة في العالم بتلك التحذيرات الصادرة عن تلك القمم ولم تتخذ الاحتياطات الضرورية واللازمة لدرء الخطر المتوقع فكانت هذه النتيجة: الطبيعة تنتقم لنفسها من البشر.

الصناعات الضخمة والتكنولوجيات المتطورة وتخريب الأرض أمّنا وتدميرها، كورونا هذه من نتائجها مثلما تظهر الحشرات الفتاكة من المزابل المتعفنة النتنة.

وبالتالي فإنها الطبيعة الآن تنتقم لنفسها من الإنسان الذي يستفيد منها دائما ويعيش بخيراتها ولا يبالي بها وبأوجاعها الكثيرة التي تعاني منها، هذا الإنسان الذي ما انفك يعبث بها منذ أن تقدم به الذكاء وأصبح مبتكرا وصانعا وما فكر يوما في أن يحقق مصالحة معها فلا تضره ولا يضرها وهذه بالتالي هي النتيجة عن قصد أو عن غير قصد منها.

إنها النتيجة الضرورية لما يُعرف لدى المفكرين بالجدل الطبيعي الذي أفضى إليها دون أن يتفطن لها الإنسان من قبل ويتخذ الاحتياطات والتدابير اللازمة لها. فمن ذا الذي سيموت بغيضه الآن رجال الدين أم العلماء أم هم الكل في محنة واحدة؟

أمنا الأرض بما فيها ومن فيها هي الطبيعة كلها التي أنجبتنا ورعتنا بعطفها وحنانها ورزقتنا من نعمائها وخيراتها وكانت سببا في تربيتنا ونموّنا مادة وروحا حتى بلغنا تميزنا عن باقي الكائنات الأخرى بعقولنا هذه التي بها قد صنعنا "الثقافة" هذه الثقافة التي بها قد صرنا نُؤثر فيها ونوجّهها ونتحكم فيها ونستغلها لصالحنا وأحيانا نُرغمها على أن تستجيب لمطالبنا وتلبي حاجاتنا المتكررة والمتزايدة، لكن بفعل التطور الطبيعي لوجودنا ووجود هذا العالم من حولنا كبرنا وكبرت معنا طموحاتنا وصنعنا ما صار يُسمى بالحضارة وها نحن اليوم نكاد نبلغ فيها أوجها ولا نتمنى أن نبلغ فيها الحد الذي ينقلب بنا إلى الضد وتحدث الكارثة وإنما الملاحظ أنه بحكم هذا التطور المستمر للإنسان في أبعاده

الثلاثة المادي والروحي والاجتماعي قد ازدادت طموحاته واتسعت مجالاتها وظهرت في كثير من الخلق والإبداع في الضروري منه للحياة وغير الضروري الذي تقتضيه فقط الرغبة في تطوير الحياة وتجميلها بكل ما يستجيب لغرائزنا ونزواتنا ورغباتنا المتجددة.

الانفجار السكاني

أمنا الأرض بفضل نعمها ورعايتها المتواصلة لنا قد كثر عددُنا حتى كاد يربو على طاقة الأرض الحاملة ما قد جعلها أخيرا تُصاب بالشيخوخة قبل أوانها وتئن وتتألم من ضخامة حملها ويكاد يختل توازنها ما صار يُنذر بحدوث كوارث طبيعية خطرة وكل ذلك بسبب تعنت أبنائها من البشر وعبثهم بها وكثرة التلوث الذي أحدثوه على سطحها بتلك الصناعات الكبرى وإفرازاتها الدائمة من الغازات الدفيئة والسامة التي أضرت بها وبمحيطها وحتى بغلافها الجوي الذي من مهامه الكبرى حمايتها وحمايتنا وأي خلل يحدث فيه هو خطر يهددها ويهددنا ما لم نعمل سريعا على تدارك أخطائنا.

الإنسان وثقافته

الثقافة سلاح ذو حدين يمكن أن تكون نافعة للإنسان وللمحيط الذي يعيش فيه كما يمكن أن تكون ضارة له وللمحيط أيضا، وما محيطنا هذا؟ أليس هو الطبيعة أمنا بكل ما فيها ومن فيها؟ وما يبلغ حده قد ينقلب إلى ضده كما يقول المثل العربي المتداول.

وثقافة الإنسان تظهر في كل ما يفعله وما يفكر فيه وما يُنجزه في مختلف مجالات حياته وإنه بهذه الصناعات الكبرى وإنشائه لتلك المعامل والمصانع أحيانا على غير هدى فقط لتلبية حاجاته وطموحاته المتزايدة في التطور وتحقيق المغانم والأموال الطائلة يكاد يُفسد في أمه تلك ملامحها ويشوّه فيها زينتها وجمالها ويكاد يعبث ببراءتها ما جعلها في الأخير حزينة مكتئبة وها هي الآن قد صارت مريضة متألمة ومرضها كله بسبب ما فعله بها أبناؤها الذين قد عاثوا فيها فسادا ولم يُحسنوا التعامل معها رغم تنبيه عديد القمم والمؤتمرات التي التأمت من أجلها وتوصياتها المتكررة لهم لاتخاذ الحيطة والحذر من التلوث الذي يُحدثونه في محيطها ومما يمكن أن

تلقه هي وهم معها من سوء العاقبة وللذكر لا الحصر مؤتمر كوبنهاغن ومؤتمر مراكش وبالخصوص منها جميعا مؤتمر باريس ألذي أفضى إلى ما صار يُعرف بـ "اتفاق باريس" الذي يشتمل على التوصيات الضرورية لما يجب أن تلتزم به جميع الدول الغنية منها والفقيرة، المصنعة منها وغير المصنعة لحماية الأرض والإنسان من سوء العاقبة وقد أمضت عليه كل الدول المشاركة لكن _ مع الأسف _ لم تتقيد به على أرض الواقع العديد من الدول وبالخصوص منها الولايات المتحدة الأمريكية التي أعلنت صراحة عن انسحابها من ذلك الاتفاق لاحقا مع العلم أنها تُعتبر الملوث الأكبر للمحيط في العالم والمتضرر الأكبر منه أيضا.

منامة ديناصور

الشخصيات الرئيسية للمسرحية

الديناصور الأحمر: يعيش في أمريكيا الشمالية

الدب الأبيض: يقطن في الشمال الشرقي لأوروبا

التنين الأصفر: يعيش في شرق آسيا

الديناصورة الصغيرة: بنت الديناصور الأحمر والمكلفة بالشؤون الخارجية والمعروفة أيضا بالديناصورة الطائرة

البقرة الحلوب: تعيش في الشرق الأوسط

الفصل الأول

الكرة المضطهدة (المشهد الوحيد)

يُرفع الستار عن ركح تتوسطه كرة بلاستيكية متوسطة الحجم ممثلة للأرض مرسومة عليها كل القارات ملونة بلون رموزها وحولها على بعد واحد منها لاعبوا كرة ممثلون لتلك القارات وحاملون لأسمائها المستعارة أو الرمزية المذكورة لاحقا في هذه المسرحية.

يبدأ المشوار بهجوم هؤلاء اللاعبين على تلك الكرة يحاول كل منهم افتكاكها من الآخرين بكثير من العنف والهمجية ثم يتلاقفونها فيما بينهم فيظهر في الجهة اليمنى من الركح فجأة رجل طويل القامة متماسك البنية مكتوبٌ على سترته (حكَم عالمي) داخلا بقوة ثم يُصفر فيتوقف الجميع عن الحركة تاركين تلك الكرة ملقاة على الركح.

يذهب الرجل في الحين إلى تلك الكرة ليُمسك بها ويعود بها إلى المشاهدين يحكي لهم عما أصابها من كثرة التكالب عليها واستغلالها من البشر أبنائها حتى صارت

مريضة ومشوهة وفي حاجة إلى الاعتناء بها بطريقة سليمة ومُجدية وإلا راحت إلى الأبد، ثم يمرّ أمام المشاهدين هؤلاء اللاعبون الواحد تلو الآخر كاشفين عن هُوياتهم ومُبرزين للمشاهدين أسماءهم تلك المكتوبة على ستراتهم.

ثم يُسدل الستار.

الفصل الثاني: صراع الأباطرة

(كلمة لطوح الإشكالية: مقروءة ومسموعة من المشاهدين)

للعلم فإن الأصل في الوجود التوازنُ وإذا ما اختل التوازنُ أصاب الوجود الفسادُ والتحلل وهذا قانون طبيعي في كل الموجودات في هذا العالم يتحكّمُ بدءا بالنرة فإلى الهباءة فإلى أرضنا الطيّبة كلها فإلى الوجود

بكامله بصغائره وكبائره (يمكن هنا تقديم صورة للنرة وصورة للهباءة وأخرى للأرض)

وما لم تستطع البشرية بعلومها وثقافاتها المتطوّرة أن تُدرك وتُحقّق المستوى الضروري والكافي من الإنسانية المطلوبة لتعيش في سلام آمنة، فإنّها إذن ستبقى طوال حياتها لا تختلف عن الحيوانات المتوحشة التي تعيش في الغابات المظلمة والتي لا تستطيع الاستمرار في العيش إلا باعتداء بعضها على بعض.

فلماذا إذن لا يزال الناس إلى اليوم يتنازعون ويتصارعون ومن أجل كسب رزقهم وتطوير معيشتهم يتحاربون؟ هل هذا قدرٌ محتوم أم بالإمكان أن نُغير ما بأنفسنا فيغيّر الله ما بنا ويُحسّن من أحوالنا ويجعل من أمرنا يُسرا؟ وإذا كان القدر قد تكفل بالأرزاق فلأي شيء ركوب الأخطار واحتمال المشاق والدخول في مثل هذه الحالات من الصراعات والنزاعات؟

الصورة الأولى: الدّبّ الأبيض (الصورة على الشاشة) مع الحديث التالي عنه:

يعيش في أوروبا الشرقية دبّ أبيض ضخم ينام بين الثلوج المتراكمة في محيطه القريب من القطب الشمالي منذ دهور وفيها ينهض ويستيقظ وفيها يجري وينشط، مسالم في الظاهر لا يعتدي ولا يظلم ما لم يُعتدى عليه أو يُظلم. يحبّه النّاس في كثير من بقاع الأرض ويحبّه بالخصوص جيرانه ويستأنسون به ويتعاملون معه بكلّ جدّية ومحبة، لكنّه بحكم تعايشه في ذلك الصقيع المضني والمتعب نراه يحاول دائما التوسّع والانتشار ما أمكن له أن يتوسّع وينتشر في الأراضي المجاورة بحثا عن الدفء والحرارة الضروريين للاستمرار في العيش في الظروف الجيّدة دونما إلحاق الضر بأي أحد من الكائنات الحيّة أو النّاطقة.

الصورة الثانية: الديناصور الأحمر: (الصورة على الشاشة) مع الحديث التالي عنه:

يعيش في شمال القارّة الأمريكية في الجهة الأخرى من الأرض ديناصورٌ شيخ مُسنّ في محمية طبيعية مع أصناف كثيرة من الكائنات الحيّة القادمة إلى هذه المحمية من مختلف أصقاع الأرض تعيش مع بعضها في حذر شديد ومتواصل بسبب الخوف من بطش بعضها ببعض. لذلك نراها لا تستقرّ على حال أبدا دونما خلق للنّزاعات وزرع للفتن بين شعوب العالم كلّه لتعيش.

إنّها بمعنى آخر تستثمر في الحروب وسفك الدماء لتستمرّ في العيش الرغيد الذي تطمح إليه دائما.

وما إن كبر شأنها صارت تطمح أيضا إلى الهيمنة على العالم بأسره كلّما وجدت إلى ذلك سبيلا وكان يغيظها أن ترى ذلك الدبّ الأبيض الضخم والخشن يتحرّك في الجهة الأخرى من الأرض ويتوسّع على حساب المناطق المجاورة وتظن دائما أنه سيبلغ يوما في توسعه هذا ما به يهدّدها ويعرقل مسيرتها نحو الهيمنة على العالم التي تريدها والتي تحضّر لها.

ولمّا رأت أنّها لا تقدر عليه في المباشر بحكم تقدمه المطرد في العلم والتكنولوجيا وامتلاكه للأسلحة المتطورة، اختلقت له حبّة هلوسة في كلمة سحرية هي

البيروستروبكا دوّخته بها حتّى أطاحت به في مدّة قصيرة.

الصورة الثالثة: التنين الأصفر (صورة لتنين مع صورة خلفية لسور الصين العظيم) مع الحديث التالي عنه: المعروف في الأساطير أن التنين يبعث بألسنة اللهب في كل جهة حينما يريد وإنه هنا لمشحون بالحقد والغضب النّاتجين عن التهديدات الخارجية المتتالية له من ذلك الديناصور الأحمر منذ زمن، لذلك نرى التنانين الصغيرة المجاورة له أيضا تتحين الفرصة للقفز والهجوم على كل من يناوئها أو يُغضبها بأي سبب من الأسباب اعتمادا على حماية التنين الأكبر لهم.

مشاهد فوتوغرافية أخرى:

حول ما جرى من الكوارث والتفجيرات في الحروب الماضية: الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ومما حدث اليوم في العراق وسوريا وليبيا وغيرها من البلدان (من مثل القنبلة الذرية التي أصابت هيروشيما والأخرى التي أصابت ناكازاكي في اليابان وغيرها).

المشهد الثاني

مذكرات الديناصورة الصغيرة "الطائرة" عن التنين الأصفر.. مقطع مقروء أيضا.

تقول هذه الديناصورة الصغيرة والموصوفة بالديناصورة الطائرة لكثرة تنقلاتها بين دول العالم، تقول في مذكراتها حول ذلك التنين الأصفر الكبير أنه مليء بالمتناقضات وأنّه مركز تفشي القمع ومعاداة الدّيمقراطية بالقارة الآسيوية كلّها. كما ذكرت أنه لا يبالي بالديمقراطية وحقوق الإنسان النهج الذي يسير فيه الديناصور الأحمر وأنّه في اتّجاه معاكس لسياسة بلادها.

ألا يشير هذا كله إلى توقع احتدام الصراع اليوم بين الديناصور الأحمر والتنين الأصفر؟ ومن هو المتضرر الأكبر في كل هذه الصراعات والنزاعات؟ أليست هي أمنا الأرض والتي تحوّلت الآن إلى شيخة هرمة عجوز مهددة بالخطر؟

الفصل الثالث: منامة ديناصور

يحلم الديناصور الأحمر بأن له ابنة تعيش في أقصى الشرق العربي ويرى في المنام أنه عليه أن يذبحها في القريب العاجل هي وكل من والاها من الأبناء والأحفاد والأقارب وكل التابعين لها في ذلك الشرق الأوسط قبل أن تقوى ويشتد عودها وتستبدّ وحدها بالسلطة على كامل المنطقة وتجعل هكذا من نفسها قوة عظمى تصعب مواجهتها في المستقبل.
إنها هناك تنام على بحر من النفط والطاقات الهامة يُمكّنُها إن شاءت أن تُغرق فيه العالم بأسره في أية لحظة سانحة.

المشهد الأول

يزور الديناصورُ الأحمر المنطقة ويلتقي بالابنة المفترضة، البقرة الحلوب المتشهة لديه بالديناصورة:
_ البنت: أهلا وسهلا سيدي، هل أنتَ أبي كما أعلموني منذ مدة؟

_ الديناصور: أهلا بك ابنتي العزيزة، نعم أنا أبوك كما أعلموك وقد افترقنا منذ أحقاب من الزمن. جئتُ إليك من بعيد حيث صار اليوم بالإمكان تجديد التواصل بفضل هذه الوسائل الجديدة للتنقل، جئتك من أقصى القارة الأمريكية.

_ البنت: أهلا بك من جديد أبي لكن أين تعيش الآن بالضبط في ذلك الشمال من القارة الأمريكية؟

_ أعيش هناك في إحدى المحميات الطبيعية بجبال الروكي.

_ وهل تعيش في محيط طبيعي مناسب لك كما ينبغي؟

_ نعم نعم أنا في خير حال وأنعم بال ابنتي.

_ فلماذا إذن تذكّرتني الآن وعَزمتَ على زيارتي؟

_ لأمر مهم جدا ابنتي سأُخبرك به في وقت لاحق. دعيني في الأول أطمئن عليك وعلى أحوالك، كيف أنت في هذا العالم الشرقي من المنطقة العربية؟

_ بخير والله والحمد لله والشكر له، تأتيني الأموال والخيرات من باطن الأرض ومن خارجها ومن كل جهة وفي كل يوم وفي كل شهر وفي كل سنة وبلا تعب وإن

شئتَ أبي أكيلُ لكم كيلا أو أعدّ لكم عدّا دون منّ أو سلوى من لدني.

_ لا، لا، إنك قد مددت لي يد المساعدة في أكثر من مرة في السابق حتى قبل أن تراني وتتعرفي علي في المباشر وقبل حتى أن أفكر أنا في المجيء إليك وتجديد التواصل معك وقد غمرتني في الحقيقة بأموالك وخيراتك غمرا حتى وأنا غائب عنك طول هذه المدة. إنني اليوم قد جئتك في أمر آخر أهم من المال والمادة.

_ ما هو؟ خيرا إن شاء الله؟

_ أنا لا أدري خيرا سيكون لك أم شرا لأنه بأمر من الله وليس بأمري.

_ (لاحظت أنه كالمتردد) ما هو قل يا أبي وليس عليك من حوج.

_رأيتُ في المنام ابنتي العزيزة أني سأذبحُك فانظري ماذا ترين.

_ (بعد تفكير قليل وتأمل في هذا الخبر المفاجئ المزعج): أنا مؤمنة بالله يا أبتي ولا أُخلف له وعدا قدّره لي وإن ما يشاء الله لنا لا يمكن رفضه أبدا فافعل ما تُؤمر به وستجدني إن شاء الله من الصابرين الطائعين.

_ هل ترين ابنتي أن هذا الحلم هو أمر من الله حتى لغير المؤمنين به؟

_ إرادة الله أبي تشمل كل البشر المؤمنين به وغير المؤمنين به وكل ما يحدث في العالم هو بأمره وبمشيئته وما تشاءون إلا أن يشاء الله ربّ العالمين وكل مسطّر في لوح محفوظ منذ الأزل، وأنتم في الغرب من أهل الكتاب تؤمنون بالله أيضا وإن بطريقة مختلفة. أليس كذلك أبي؟

_ نعم، نعم ابنتي الغالية، الغالبية منا هم كما تقولين مؤمنون بالله وأصحاب واحدة من الديانات السماوية. لكن ابنتي أنت عزيزة عليّ وأنا لا أحب أن أذبحك هكذا في المباشر حتى لا أؤلمك وأتألم أنا معك. دعيني أبدأ بتقطيع أوصالك والقضاء على أطرافك الواحدة تلو الأخرى دون شوشرة ثم أقوم بذبحك في الأخير فتموتين هكذا في هدوء دون تألم صعب التحمّل، وهكذا نستريح منك ومن أقلربك ومن أحفادك وكل المحيطين بك في مراحل قليلة دون أن تُدركي ما يجري أو تعي به، سنجعل منك كالمخدرة التي لا ترى ولا تسمع ولا تدري

بشيء وهكذا أحقق لنفسي منامتي ودعوة الرب لي، ما رأيك؟

_ (بعد أن أحست حقا بكثير من الخوف والوجل):
وهل سَتستطيع فعل ذلك كله بي يا أبي؟

_ ألم تقولي قبل قليل بأن كل شيء مقدّر من الخالق ابنتي؟ فأنا إذن سأتصرف بإرادته وكل اجتهادي هو في قطع أوصالك وأطرافك إلى إرب قبل أن أقتلك أنت في النهاية وربما سيكون اجتهادي هذا أيضا بهداية من الله مارأيك؟

_ لاراد لمشيئة الله أبي كما قلت لك منذ لحظات قليلة ولكن أدعوك أبي أن تُؤجل هذا الأمر إن سمحت إلى زمن قادم ريثما أصفّي حساباتي مع أحفادي وأقاربي وكل من يعرفني أو له صلة بي وخصوصا هؤلاء الذين أعلموك بوجودي هنا في هذه المنطقة وزرعوا الفتنة بيني وبينك في هذا الزمن الرديء. خذ هذه الكيس المملوءة بالعملة الصعبة وهذا السيف الذهبي هدية مني إليك بهذه المناسبة لتشدّ بها أزرك في هذه الفترة الصعبة وتفكر قليلا بي قبل أن تهمّ بقتلي والقضاء عليّ وعلى عائلتي، ولا أظنك – بفعلتك – هذه أبي

ستعيش طويلا بعدي إذ أنك ستقضي على نفسك أيضا بقضائك عليّ لأنك في الحقيقة لا تستطيع أن تعيش طويلا إلا بعوني وبمساعدتي وربما بفعلتك هذه سينقرض نسلنا إلى الأبد.

_ ضحك الديناصور الشيخ وقال لها في استهزاء ظاهر: كأني سأُمسك بمخنقك الآن في هذه اللحظة وأنفّذ ما رأيته في المنام في تلك الليلة دونما انتظار لوقت آخر.

_ (مرتجفة مرعوبة): لماذا العجلة يا أبي؟ ألم تقل لي أنك ستؤجل ذلك إلى وقت آخر؟

_ لأني أراك غير مكترثة بكلامي هذا وكأنما أنا أمزح معك. تقولين شيئا وتُخلفين في الآن نفسه، هل ليس لك عقل تُميّزين به بين الحق والباطل وبين الجد واللعب أم أنك لا تزالين كعهدي بك دائما تعيشين على غباء مقدس؟

_ وإذا فداني الله بذبح عظيم كما كان قد فعل مع إسماعيل بن إبراهيم جد كل الأنبياء والرسل؟

_ سآخذ الذبح العظيم ذاك أيضا وأقتلك.

_ لماذا؟ ألا تحترم إرادة الله فيك وفي؟

_وهل لازلت تسألينني لماذا؟ ولماذا ولماذا؟ لأنني لا أُومنُ مثلك بهذه التّرهات التي تأتيك من كل جهة. أنا أعيش في الواقع وأومن به والواقع يُملي عليّ أن أقضي عليك وعلى كل من يخالفني في الرأي ولا يأتمر بأوامري وليس لي أن أخاف من نار أو أطمع في جنة. ثم أخذ كيس الدولارات والسيف الذهبي وهو متظاهر بالانفعال والغضب وانصرف بهما مع مرافقيه إلى بلاده المحمية الطبيعية الهجينة الموجودة في أقصى الشمال الأمريكي دونما اهتمام كاف بتوديعها أو حتى بواجب تقديم الشكر لها على تلك الهدية الثمينة التي نالها منها والأموال الكثيرة ولا يفكر فقط إلا في أي وقت آخر سيعود فيه إلى هذه البنت المسكينة لإرهابها ثانية وسلبها ونهبها إلى الآخر قبل أن يُقرّر إنجاز مارآه في المنام في تلك الليلة أوربما لا يفعل ذلك إلى الأبد عسى أن يكون بقاؤها حية أفضل له كمصدر دائم لتمويل مشاريعه العديدة في المنطقة..

(الزيارة الثانية للبقرة الحلوب)

بعد سنوات قليلة من تلك الزيارة وبعد النجاح الكبير في تفكيكه للمنطقة وتخريبها بواسطة أتباعه وأعوانه والمناصرين له في الجهة فكّر الديناصورُ الشيخ في زيارتها مرة أخرى ليرى بنفسه ما الذي جرى وما الذي يجرى وينهبَ ويسلبَ تلك البنت المزعومة "البقرة الحلوب" المتشبهة لديه بالديناصورة بدعوى أنه مأمور من الله ليقتلها وإن كان لابد من تحقيق مشيئة الله فيها "ولا راد لمشيئته أبدا" كما هي تقول إلا أنه يرى أنه بإمكانه إمهالُها لفترة أخرى حتى لا يُثير حوله الديناصورات الأخرى المتربصة به منذ زمن بعيد ويؤلّب عليه الأعداء في كل جهة .

الديناصور الشيخ: السلام عليكم ابنتي العزيزة وحاشيتك الموقرة.

البنت: وعليكم السلام أبي، هل عُدت لتحقيق غرضك فيّ وفي عشيرتي؟

ـــ نعم، نعم، بحكم القدر الذي ذكرته لي في المرة السابقة أليس كذلك؟

ـــ لكن أبي لقد وعدتني بأن تؤجل هذا الأمر إلى زمن آخر. لقد علمت أن لك ابنة أخرى حقيقية شرعية بيولوجية تعيش منذ مدة هنا في الشرق الأوسط، أسكنتَها أنت هنا لترعى مصالحك في هذه المنطقة تُشبهك في الهيئة وفي الطول والعرض واللون وحتى في السلوك والتصرّف، مثلك ضخمة البطن ممتدة العنق وطويلة الذَّنَب أما أنا فقيل لي أني ابنتك بالتبني ولست ابنتك الحقيقية ولست من سلالتك حقا كما تدعي لذلك لا تراني أشبهك كثيرا في البنية أليس كذلك يا أبتي المفترض؟

ـــ (بعد قليل من التفكير والتأمل) نعم، نعم، أنت ابنتي بالتبني، لقد تبنيتك بمقتضى ما يسمح به القانون العالمي المعاصر الذي يقوم على أن السلطة لا تكون إلا للقوي، لقد تبنيتك عندما كنت عاجزا عن الإنجاب في زمني الأول وعندما علمت أن بيني وبينك أصولا مشتركة في النسب ثم أنجبت أختك تلك في زمن

لاحق. هي صغيرة جدا، لا تزال في زمن المراهقة وأنت تكبرها بآلاف السنين إذا لم نقل بكثير من الحقب.

ـــ لكن هي تعز عليك أكثر مني أبي وقيل لي أنك تحبها وترعاها منذ أن جئت بها إلى هذه المنطقة ولا ترفض لها أي طلب وتتفاعل معها في كل لحظة.

ـــ نعم، نعم، أفعل معها كل ذلك بحكم الأبوة الحقيقية والتوافق معها في المصالح.

ـــ أما أنا فمصلحتك الوحيدة والمُلحة الآن هي في أن تقتلني وتقضي على وعلى كل عائلتي، أليس كذلك يا أبتي المزعوم؟

ـــ (منفعلا من كثرة كلامها وكثرة أسئلتها) أنا لست شهريار الملك يا دينا صورتي المحترمة أرغب في الاستماع إلى حكاياتك التي لا تنتهي لكي أرجئ دائما عملية ذبحك إلى زمن لاحق وأنت لست شهرزاد تلك المرأة الذكية صاحبة الحكمة والخداع بالحكايات العجيبة، إن ذلك مارأيته في المنام يا ابنتي وليس لي أن أخلف وعدي مع نفسي ومع القدر المحتوم لي ولك وإلا دارت الأيام ودارت على الدوائر وفشلت في مسيرتي إلى الأبد.

لكن ابشري أبنتي أنا مضطر الآن لأن أترك هذا الأمر إلى زمن آخر كما وعدتك في المرة السابقة حتى لا أُغضب جيراني الذين لا يحبونني والمتربصين دائما بي وسوف أتحيّن لا محالة الفرصة السانحة في المستقبل لأحقق غرضي وأنجز المهمة بالحكمة اللازمة دون أن أجيّش عليّ المجتمع الدولي وأُحدث ضجة كبيرة في العالم لا تكون في مصلحتي.

ـــ لماذا جئت لي الآن إذن في هذا الزمن الصعب ما دمتَ لا تنوي تنفيذ خطتك الآن فيّ؟

ـــ جئت الآن لأنبّهك بأن لي دينا عليك لابد الآن من تسديده لي، لقد صرفتُ الكثيرَ الكثير من الأموال في تكلفة الحرب الدائرة على أطراف مملكتك وأنت المسئولة على دفعها في أقرب وقت ممكن وإلا قطعنا عنك المدد ومُتّ في الحين قبل حتى موعد نهايتك تلك المنتظرة.

ـــ لا تزعج أبتي لا تزعج مني فلقد رصدتُ لك أموالا طائلة على مرّ السنوات الماضية التي تلت زيارتك الأولى لي لتسديد تكلفة الحرب الدائرة هذه مع الزيادة لأنال رضاك بالكامل، هي في انتظارك لتحملها متى شئت

وتعود بها إلى أهلك راضيا مرضيا. أنا هنا المموّلة لمشاريعك كلها بسبب الحرب أو بدونها حتى تلك التي تهدّ دُني بها ما دام كل شيء بأمر الله تعالى وبإرادته.

ويسدل الستار

الشيخة

المشهد الأوّل

اللّقاء الأول بين الأمّ وابنها بعد فراق طويل

يُرفع السّتار عن ركح يتوسّطه ما يمثل الكرة الأرضيّة من البلاستيك في حجم كبير يُظهرها جيّدا للمتفرّجين مكسوّة بأقمشة شبه ملوّنة مُبرزة كلّ القارّات المعروفة وهي في حالة رثة وبلى ظاهر – تظهر منكمشة الجوانب متهدّلة الأطراف يعلوها رأس إنسان اصطناعي متناسب في كبره مع حجم الأرض بداخله رأس إنسان «حقيقي» يحمل هذه الأرض على جانبيه وتظهر ساقاه من تحتها.. تأخذ هذه الأرض بما فيها ومن فيها تتحرّك في فضاء الرّكح ممثّلة عجوزا تدبّ دبيبا، تتمايل وتتعثّر وتتهافت إلى السّقوط، تتأوّه أحيانا وتتوجّع مُعربة بذلك عمّا تقاسيه من آلام كبيرة.

يدخل القاعة «الركح» رجل قصير القامة يحمل في كلّ يد حقيبة سفر ومعلقا على كتفه محفظة أوراقه،

يبدو عليه قادما من بعيد، ثمّ يُدير بصره في أرجاء القاعة فيُفاجأ بالعجوز في ركن من أركانها وهي تئن وتتأوه فيهرع إليها منفعلا محترا متسائلا عمّا بها ولماذا هي على هذه الحال البائسة:

- الرّجل: أمّاه! ماذا بك.. أمّنا الأرض ماذا بك؟ لماذا أنت على هذه الحال؟ هل أنت متعبة أم مريضة؟

- الأرض: خذ بيدي يا ولدي خذ بيدي قبل أن أقع، خذ بيدي، أكاد أموت من الألم والأوجاع المختلفة.

يأخذ الرّجل بيدها برفق وهو يطأطئ رأسه حزنا وأسى ثمّ يرفع رأسه متأمّلا فيها مرة أخرى ثمّ يقول:

- أمّاه، لقد جئتك اليوم لأزورك بعد غياب طويل، ولأراك وأعتني بك عسانا نجدّد العهد بالغناء والطرب كما كنا في الماضي ونواصل معا مسيرة المجد والسّؤدد، لكن يبدو لي يا أمّي أنّني قد وصلت متأخّرا وأن الضّعف والهزال قد سبقاني إليك فممّا تشكين والدتي؟

- الأرض: (متأثرة بالكلمة الأخيرة) هل أنت ولدي يا ولدي؟

- الرّجل: نعم، نعم أمّاه، دعيني أعانقك. ويرتمي في عنقها مقبلا إياها بكل حرارة.

- الأرض: (تعانقه وهي تتمتم وتكرر)، ما عرفتك يا بنيّ، ما عرفتك قبل الآن يا ولدي وتغرق في الشّهيق والبكاء من الفرح بلقاء ابنها ومن الألم.

- الرجل: (متمتما) نعم لقد أدركت أنّك ما عرفتني في الأول.

يصمتان قليلا ثمّ تواصل الأمّ حديثها: منذ أن فارقتني يا ولدي قبل حوالي مائتي عام أو يزيد ولم تعد تفكّر فيّ قد هجم عليّ نوع من البشر ينهشون جسدي ويدقّون الإبر في جسمي ويمتصّون دمي وآخرون يقتلعون الأشجار التّي كنتُ بها أحتمي، وآخرون قد طفقوا يحفرون في وهادي ومرتفعاتي يستنفذون مخازني من المياه والغازات والنّفط والمعادن تلك التّي كنت أشدّ بها مفاصلي وأقوّي بها عضلاتي وأحكم بها حبال تواصلي. وآخرون يا ولدي قد عكّروا عليّ حتّى فضاء تنفّسي بما ينفثونه على سطحي من ثاني أكسيد الكربون وغيره من الغازات السامّة فكيف لي ألا أمرض يا ولدي؟

- الرّجل: أمّاه أنا طبيب متخصّص في علاج المسنين والعُجّز. دعيني أُجري عليك فحوصا وأخضعك لبعض التحاليل والتجارب.

- الأرض: لا، لا، ولدي، لا تقل هذا وتغضبني، أنا ما زلت في ريعان شبابي الأوّل ولكن الأشرار هم الذين يستفيدون منّي دائما ولا ينفعونني رغم أنّني لا أزال أعطف عليهم وأحضنهم وهم لا يبالون بي، إنّكم جميعا أولادي يا ولدي ومهما تنكّرتم لي وأجرمتم في حقّي وبعدتم عنّي، لا بدّ أن يأتي يوم تعودون فيه إليّ، أنا أمّكم يا ولدي ولا أكف أبدا عن محبتكم والاهتمام بكم حتى وإن أسأتم لي، تلك هي طبيعتي!

ويُسدل الستار

المشهد الثاني

فحص الأمّ المريضة

يُرفع الستار لنرى أمّنا «الأرض» ملقاة على سطح الركح تئنّ وتتوجّع وحولها فريق من الأطبّاء بآلاتهم ومعدّاتهم المختلفة التّي تكاد تملأ المكان، كلّ يتفحّص موقعا أو يأخذ عيّنة من الدّم أو البول يحلّلها والبعض يقوم

بالتّصوير لبعض أجزائها وآخرون يقيسون ضغط دمها ودقّات قلبها ودرجة سكّرها وآخرون ينظرون في قدرة تحمّل أعصابها إلى غير ذلك من النّشاطات، ونرى الطبيب قصير القامة ابنها مدير البحث يجمع المعلومات الحاصلة عنها من زملائه ويناقشهم فيها ويأخذ في دراستها معهم والتأمّل فيها ثمّ ينتهون فيغادر الجميع القاعة (الركح) ليبقى القصير وحده مع الأرض الأمّ ويستأنف المناقشة :

- الابن الطبيب: أمّاه ...

- الأمّ: «بصوت خافت كالأنين» نعم يا.. ولدي..

- الطبيب: هل لك مؤل تأوين إليه؟

- الأمّ: لا يا ولدي، إنّي سابحة في الفضاء الكوني منذ مليارات من السنين قبل أن أحبل بكم وأضعكم تعيشون هنا على سطحي وعلى أطرافي المختلفة، أدور حول نفسي في كلّ يوم مرّة وأدور حول الشّمس في العام مرّة واحدة وبهذا الوضع تعيشون أنتم اللّيل والنّهار وتتعاقب عليكم الفصول ويعتدل مزاجي أنا وأستمر في الحياة وأصبر ولست في حاجة إلى مؤل آوي

إليه لأنّ ذلك هو قدري يا ولدي العيش هائمة في الفضاء إلى الأبد.

- الطّبيب: أليس لك إخوة يتحمّلون معك مشاق السّفر أو يساعدونك على تحمّل التّعب؟

- الأمّ: نعم لي إخوة كثر لكنّ واحدة فقط هي القريبة منّي وتنيرني ليلا عندما تغيب الشّمس عنّي وليس في مقدورها أن تفعل لي أكثر من ذلك دائما. أنا والقمر جيران يا بني (بقليل من الابتسام تلطيفا للجو الكئيب والمتلزم)

- الطبيب: لكن لك أبناء؟

- الأمّ: نعم، نعم، لي أبناء كثيرون، ألا تعرفهم يا ولدي؟ إنّهم إخوتك.؟

- الطبيب: بلى، أعرفهم، أعرفهم جيدا يا أمّي لكنّي أمزح معك وها أنّني سأعرض على البعض منهم هذه الكشوفات كلّها ونرى ماذا سنفعل معا لتطبيبك وعلاجك والحفاظ عليك سليمة معافاة دائما وإلاّ فقد «ذهب الجمل بما حمل».

- الأمّ: «لأنّها لم تفهم الجملة الأخيرة»، آه، ماذا قلت يا ولدي؟

- الطبيب: لا، لا شيء، سأعود إليك يا أمّي تصبّري قليلا.

- الأمّ: الصّبر جميل يا ولدي وهو مفتاح الفرج كما يقال دائما.

يخرج الطبيب من القاعة وهو يحمل في يده جميع الكشوفات ليتحدّث بها لاحقا إلى هؤلاء النّاس إخوته الأطباء لينظروا معا ماذا سيفعلون لإنقاذها (إشارة إلى قمم الأرض المتتالية: قمة واشنطن، قمة كوبنهاغن مثلا وقمة باريس الشهيرة وقمة الدار البيضاء الأخيرة).

ويسدل الستار

المشهد الثالث

مجلس الأطبّاء

يدخل فريق الأطبّاء، يتّخذون مقاعدهم المفترشة حول «الأرض الأمّ» مكتئبين حائرين يُحيّون أمّهم ويسألون من جديد عن أحوالها قصد المواساة وإبداء الاستعداد للمساعدة. ثمّ يدخل ابنها الطّبيب وبيده تقريره الأخير

الذي استنتجه من تلك البحوث والدراسات الميدانية والاختبارات والتجارب العينيّة التي قاموا بها منذ مدة قصيرة.

يشرع في قراءة التّقرير ملتفتا أحيانا إلى زملائه الجالسين من حوله وملتفتا أحيانا إلى المشاهدين أمامه ومرة إلى أمّه القابعة بينهم في حالة حزن واكتئاب متأوهة أحيانا وأحيانا متألمة.

«أيّها الزّملاء، أيّها الإخوة أبناء هذه الأرض الكريمة لرجو أن تكونوا في حال أفضل من حالها رغم أنّنا جميعا قد خلقنا من طينها وواصلنا الحياة بفضلها ورعايتها شاربين لمائها ومتغذين بطعامها ومتنفسين لهوائها وأنّه لا بدّ أن يصيبنا ما يصيبها وينالنا ما ينالها إذا تركناها على حالتها هذه المزرية وإذا خفنا عليها فإن خوفنا هو في الحقيقة على أنفسنا أيضا لأنّ في موتها موتا لنا وفي بقائها حيّة بقاء لنا، وفي بقائها سليمة سلاما لنا والعكس صحيح دائما...»

أيّها الزّملاء، أيّها الإخوة أيها الأبناء: (إخوة له وأبناء لها) «كأنّما أمّنا الأرض قد شاخت ونحن لا نزال صغارا» هل تعلمون؟

(قليل من الصّمت متأملين) يلتفت بعضهم إلى بعض محتارين.

ثمّ يواصل حديثه: انظروا إنّ كثيرا ما يُعرف بأمراض الشيخوخة قد ظهرت عليها في الأزمنة الأخيرة من عمرها وإن مؤتمرا علميّا يُعرف ب «قمّة الأرض» يُعقد مرات عديدة من أجلها... لمزيد فحصها والتأمّل في أحوالها، إذ يبدو أنّها تعاني من صداع قوي في رأسها لأنّ خلاياه التّي هي – كما تعلمون- من البشر لم تعد تعمل بشكل طبيعيّ نتيجة هذه التغذية الفاسدة التّي صارت تُقدّم إليها والتّي هي في أغلبها مكوّنة من نباتات وحيوانات مهجّنة ومحوّلة جينيّا ولم تعد صالحة ونتيجة أيضا لسياسات خاطئة في تسييرها وتوجيهها... وتعاني أيضا من ارتفاع خطير في درجة حرارتها نتيجة ما أصابها في الأيّام الأخيرة من انحباس حراريّ في غلافها الجوّي وتآكل في قشرتها نتيجة أيضا للنشاطات البشريّة الهدّامة وغير المسئولة التّي وقعت فيها ونتيجة لما أصاب طبقة الأوزون في تكوينها من جرّاء التلويث المستمرّ لمحيطها الطبيعيّ وإن هذه الحرارة المتزايدة مع الزّمن ستتسبّب في الذوبان التدريجيّ لطبقات الثلوج

الموجودة على قطبيها وتعمل على تصحّر المناطق الخضراء فيها كما تزيد في تبخّر المياه بنسب أكثر من ذي قبل، الأمر الذي قد يُهيّئ لانخرام توازنها وربّما أيضا لموتها واندثارها. كما أنّها وبالتالي تعاني أيضا من برد في المفاصل نتيجة لتجفّف في عروقها واستنفاذ لمواردها المائيّة الباطنية بفعل موجات الجفاف التّي لا تزال تصيبها والظاهر أنّ الإنسان «الطفل» هذا الموجود على سطحها لا يقدر على أن يُفيدها إذ أنّه قد عجز عن علاج نفسه من أمراضها فهو بالأحرى أعجزُ من أن يُقدّم أيّ عون لها. فهل من كائنات أخرى قادرة على تطبيبها وعلاجها؟ من يدري؟ وإلاّ فإنّها ميّتة لا محالة بما فيها ومن فيها كما قد ماتت واندثرت كواكب أخرى من قبلها.

يقول بعض العلماء: إنّ كواكب كثيرة أخرى غيرها قد وُلدت هذه الأيّام في سمائنا وليس علينا الآن إلاّ أن ندعو اللّه ألا تكون هذه المواليد الجديدة خير خلف لأتعس سلف أو لا تكون على الأقلّ حاملة لرؤوس نوويّة مثل رأسها.

وهكذا كما تلاحظون فإن الإنسان يبدو وكأنه ينتفع منها ولا ينفعها وهنا عقوق منّا لها لابدّ أن يأتي يوم نُحاسب فيه عليه ونلقى الجزاء. وفي هذه اللّحظة بالذات تمرّ في فضاء القاعة سحابة ضوئيّة قويّة هوجاء مختلطة الألوان فتجعل الحاضرين من الطبيب وزملائه كالمخطوفين المنبهرين، ينهضون، يتحرّكون ويتمايلون يسقطون ثمّ ينهضون كالمجانين لا يدرون ما يفعلون. إنّها سحابة الغبار النّووي الذي خلفه انّفجار محطة تشرنوبيل الأوكرانية قبل سنين. يصيح أحدهم قبل أن يستسلم للعجز والوهن: ما الذي يجري، ما الذي يجري؟
ويصيح آخر وهو يمسك ببطنه بكلتا يديه: ماذا دهاني، ربّاه هذا مغص شديد لا يقاوم ماذا دهانا؟ وآخر يمسك برأسه دون حراك ثمّ يسقط الجميع على الركح الواحد تلو الآخر يتألّمون ويبكون ويصيحون ويدخلون في فوضى عارمة من حيث لا يدرون.

ويسدل الستار

المشهد الرابع

فحص الأطباء المرضى

المدير الطبيب الخبير ملقى على سطح الركح وحوله زملاؤه وكلّهم يتألّمون من الأمراض المختلفة التّي خلّفتها فيهم مرور سحابة «تشرنوبيل» يرتدون جميعا زيّهم الأبيض زيّ العمل ولكن لم يعد أحد منهم بقادر على أن ينفع غيره أو ينفع نفسه بأيّ عمل (أليس الطبيب البارع هو من يكون طبيب نفسه قبل أن يكون طبيب غيره؟) والأمّ الأرض قابعة هي أيضا في ركن من أركان القاعة مذهولة حائرة كأنّما هي تبكي في صمت.

وبينما هم جميعا على تلك الحال يدخل عليهم فريق جديد من الأطبّاء يبدو أنّهم جاءوا من بلاد بعيدة ومن زمن بعيد أيضا.

قال أحدهم: «السلام عليكم أيّها الزّملاء الأعزاء، لقد سمعنا بأنّكم قد وقعتم ضحيّة ما فعلتم وأنّ الطّبيعة التّي خرّبتموها ودمّرتموها بعلومكم وتقنياتكم بدأت الآن تنتقم لنفسها منكم وانفجار تشرنوبيل ذاك واحد

من ردود الفعل عليكم وها نحن حالما سمعنا بخبر هذه الحادثة الّتي أصابتكم جئنا لنجدتكم».

كان هؤلاء الأطباء في زيّ أخضر يوحي بالأمل، الأمل في خلاص النّاس من المأزق الّذي تردوا فيه والأمل في مستقبل أفضل لهم وللأرض، ويبدو أنّهم في سلام مع طبيعتهم، لم يضرّوها ولم تضرّهم... ثمّ أضاف هذا الرّجل قائلا:

أيّها الإخوة، إنّه ليس كلّ ما يحدث في الطبيعة طبيعي (كما كان يقول جان جاك روسو المفكر الفرنسي سابقا) هذه الزلازل وهذه البراكين وهذه الأعاصير و«التسوناميات» وغيرها ممّا يُعرف لديكم بالكوارث الطبيعيّة ما كانت لتحدث في الطّبيعة لولا تخريبكم لها وإثارتكم إيّاها، إنّ الطبيعة في الأصل محافظة على توازنها وإلاّ لما كانت لتستمرّ في الوجود على مدى كلّ هذا الزمن الطويل منذ ظهورها ولما كنتم أنتم تنعمون فيها بالحياة منذ ظهوركم على سطحها. انتبهوا لها ولأنفسكم، ألستم جزءا منها ينفعكم ما ينفعها ويضركم ما يضرّها؟ إذا لم يلحقها منكم ضرر

وتركتموها في سلام عشتم أنتم معها أيضا في أمن وسلام دائما.

كان هذا الرّجل المتكلّم مكتمل الجسم فارع القامة واثقا من نفسه ممثّلا جيدا لمجموعته، عالما بالطّبيعة إلى غايته لكنّه يُفكّر أن ينفع النّاس والطّبيعة معا بعلمه ولا يضرّ به كما يفعل غيره عن دراية أو عن غير دراية.

الشّروع في العمل:

يأخذ بعض العمّال في جلب الآلات والمعدّات الطبيّة إلى القاعة يضعونها في أماكنها مستعينين بتوجيهات الأطبّاء الخضر، وتكاد القاعة تمتلئ – كالمرّة السّابقة– بهذه الآلات والمعدّات فيأخذ الفريق في الحركة والنّشاط كلّ في اختصاص يتفحصون زملاءهم البيض ويجلسون ويستنتجون ويسجّلون ملاحظاتهم ويقارنون ثمّ يأخذ الرّجل الطويل القامة في جمع المعلومات من الحاضرين يرتبها حسب خصوصياتها، يدرسها ويناقشها مع أصحابه ليحضّر تقريرا عمّا جرى وعما ابتُلي به زملاءه هؤلاء في حضرة أمهم الأرض وأبنائها. ثمّ

ينتهون – بعد برهة من الزمن– فيقف الرجل على زملائه ليدعو إلى جلسة حوار بعد حين.

ويسدل الستار

المشهد الخامس

مجلس الأطباء الجدد

يدخل الأطباء الخضر يتقدّمهم الرجل الطويل رئيسُهم، يجلسون ثم يأخذ هذا الرجل في قراءة التقرير عليهم وعلى زملائهم الجالسين بالقرب منهم وعلى كل الحاضرين من المشاهدين.

«أيّها الإخوة الأبناء، أيها الزّملاء:

إنّه الصّراع من أجل البقاء، ولكن ليس البقاء دائما للأصلح كما يتصوّر البعض دائما لأنّه في زمن الحرب – ليس لنا اختيار بين ما يصلح وما لا يصلح، ومع القوّة ينتفي الحوارُ وإنّه إذا لم نفعل بأمّنا «الأرض» خيرا

فإنّه سيصبح صراعنا – من حيث لا ندري – موجّها للفناء وهذا هو يا إخوتي عينُ الغباء، إنّ كلّ هذه الأمراض الّتي ابتُليت بها أمّنا وابتُلي بها أصحابنا الزملاء هي من صنعنا، ونحن البشر بجميع أصنافنا، المجرمون في حقّها وفي حقّ هؤلاء وفي حق أنفسنا. لماذا لم نعتبر – ولو قليلا – بما قاله روسّو من قبلنا: «إنّما العلوم والآداب مفسدة للإنسان»، ها نحن قد وقعنا فيما نبّهنا إليه، إنّ قوله هذا ليس صحيحا كلّه لأنّ من العلم والآداب ما ينفعنا ومنها ما يضرّ ويُفسدُ أيضا، لهذا لو تحاورنا فيما بعده مع هربرت ماركيز حول تنكّره لما كانت أمريكا الحديثة مقبلة عليه من تصنيع دون مراعاة للجانب الرّوحي في الإنسان لربّما اهتدينا إلى الحلّ المناسب الّذي يجمع بينهما، بين الإنسان الصّانع والإنسان المفكّر اللذين كانا معا منذ القدم. أليس الإنسان مادّة وروحا؟ أليسا هما في علاقة تلازم مطّرد في الوجود والفصل بينهما هو في الحقّ قضاء على كلّ منهما؟ متى نفهم ذاك إخواني، متى نفهم ونعملُ بما نفهم؟

يلتفتُ إلى زملائه المرضى ويُضيف: «هذه الأغصان من تلك الشّجرة ويُشير بيده إلى المرضى وأمّهم الأرض – و«إن الطّفل نسخة من أبيه كما يقال عادة لكنّه في الحقيقة نسخة من أمّه وأبيه» فمن تُرى سيطبّبُ الآخر الآن الأم أم أبناؤُها؟ إنّما الحلّ الوحيد إذا ما بقي لنا في الحياة أمل هو في آن يبدأ الإنسان منذ الآن في الكفّ عن عمليّات التلويث والحفر والخرق والحرق في جسم هذه الأرض المتهالكة ومحاولة استبدال الطاقات التقليدية المستعلمة بأخرى أفضل منها وألطف وأنظف كالطاقة الشمسيّة مثلا أو الطاقة الهوائية أو الطاقة المائية أو الطاقة الهيدروجينية أو الطاقة الكهربائية أو غيرها من الطاقات البديلة الممكنة، ومحاولة إعادة البناء بناء الأرض والإنسان معا، بناء الأرض وتعميرها تدريجيا وبشكل أفضل وذلك ممكن بتغيير ظروفها الّتي تمرّ بها فتعود إلى استرجاع توازنها ومدّنا بما نحتاجه بالطريقة المثلى».

وبناء الإنسان بإعادة تنشئته بطريقة أفضل أيضا من تلك الطرق البالية التي لم تعد الآن مناسبة وذلك بأن نفكّر مثلا في استبدال حاجاتنا الحالية بأخرى أحسن

منها وأقلّ تكلفة وأقلّ أضرارا بأمّنا الأرض حتّى لا نُتعبها ونضمن لها حياة جميلة أكثر وعمرا أطول؟

وكما قد قرّبنا المسافات في ما بيننا وغيّرنا طريقة تواصلنا باختراعنا عالم الأنترنت هذا الّذي قد صار يساعدنا على تقديم كثير من الخدمات والوظائف إلى بعضنا دون حاجة إلى التنقل في أحيان كثيرة إلى أماكن العمل، كما صار يفعله الآلاف من الموظفين في أمريكا وفي بلدان أخرى غيرها اليوم وهم القارّون في بيوتهم لا يتنقلون، يمكن أيضا أن نُغيّر من طريقة أكلنا كأن نقلّل كثيرا من تناول اللحوم ونستعيض عنها بالخضر والغلال والفواكه... ونغيّر من طريقة تنقلنا باستعمال السيارات الطائرة إن أمكن المشغلة بالطاقة الكهربائيّة أو الطاقة الشمسيّة أو غيرها من الطاقات البديلة ونحافظ بذلك على محيط صحّي أكثر من الذي كان ونخفّف كذلك من الضغط النّفسي النّاجم عن اكتظاظ الشّوارع والطرقات بالنّاس والسيارات والحافلات وكلّ وسائل التنقّل المعهودة معا... وحتّى إذا ما توفّرت لنا أوقات فراغ جديدة قضيناها في الرّياضة والتنزّه في الغابات أو الحدائق أو في التواصل عن قرب

أو عن بعد للتعرّف على بعضنا أكثر لأنه في التعرّف على بعضنا أكثر تعرّفٌ على قُدُراتنا الكامنة فينا لمجابهة الصعوبات التي تصادفنا في حياتنا دائما. كما يمكن أن نغيّر من طريقة تعلّمنا وحصولنا على المعرفة بالاستعانة بالتلفاز مثلا أو بغيره من الآلات الشبيهة المستحدثة في هذه الأيام لتقديم الدّروس ومختلف ألوان الثقافة للتلاميذ والطّلبة ولكلّ الرّاغبين في العلم والمعرفة وبذلك يمكن أن نوفّر لأنفسنا أموالا كثيرة وجهودا عظيمة كنّا ننفقها في بناء المدارس والجامعات والمعاهد ونستبقي بالتّالي مساحات كبيرة من الأرض قد نستصلحها لمنافع أخرى نحتاجها أكثر، لنتأمّل في وضعنا الجديد هذا إذا تحقق.

لو أفرغت الشوارع والسّاحات من السيّارات وأوقفت عن العمل المدارسُ والمعاهد والجامعاتُ وصار النّاس يغدون ويروحون مشيا على الأقدام دون استنشاق لغاز ثاني أوكسيد الكربون CO_2 أو غيره من الغازات الضارة الّتي كانت تنفثها تلك السيارات وغيرها...

ونصبح نعيش في ظروف نظيفة كهذه ألا تصير الأرض غير الأرض، والإنسانُ غير الإنسان؟ كما يمكن أن نغيّر

أيضا من طريقة فهمنا للحياة بكاملها ونغيّر بالتّالي من طريقة تعاملنا معها وتعاملنا مع الطبيعة أمنا وهذا أيضا ممكن عند تغيّر ظروف العيش فيها، أو ليس الوعيُ هو انعكاس للواقع والعقلُ والعقليّة موجّهين به؟

ويسدل الستار

هوامش:

_ جان جاك روسو مفكر وأديب فرنسي من أشهر مفكري عصر التنوير ولد في 1712 وتوفي في 1778 وأهم كتبه: أميل – والعقد الاجتماعي وغيرهما...

_ هربرت ماركوز (1898_1979) فيلسوف ومفكر ألماني أمريكي صاحب كتاب الإنسان ذو البعد الواحد وكتاب العقل والثورة وغيرهما...

_ أنطوان سانغينيتي A. Sanguinetti، مجلّة Peuples méditerranéens الفرنسيّة عدد 19، ص.33. تعريب صاحب هذا الكتاب.

دُنيـا

مسرحية صامتة

الـــركـــــح

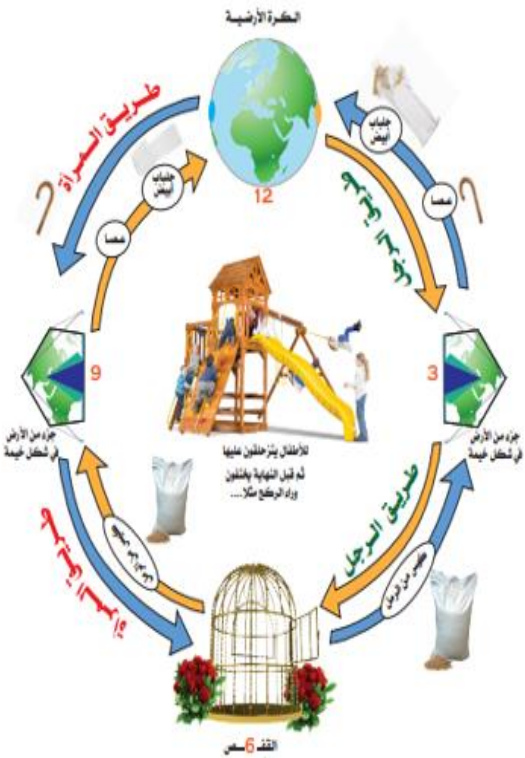

التعبير المادي

يكون الركح على شكل ساعة دائرية لتُوحي بالزمن، هذا الزمن الذي نعيش به دون أن نعلم عن حقيقته شيئا واضحا.

تُنصّب في وسط الركح، في مؤخرته بالُونة ضخمة كرة من البلاستيك الشفاف تُمثل الأرض بريّها وبحرها وكل قاراتها شفافة كي يظهر النور فيها عندما نُضيئها ويكون لها منفذان واحد على اليمين وآخر على اليسار. (وذلك على الرقم 12 من الساعة).

وعلى بعد قليل منها على يمين المتفوج (وعلى الرقم 03 من الساعة) تُنصّب نصفُ دائرة أو أقل منها قليلا كما لو كان جزءا من هذه الأرض يحمل ألوانها وأشكالها وأضواءها. ثم نواصل في هذا الاتجاه حتي نصل إلى الرقم 06 من الساعة الركح فزُكّز قفصا كبيرا لكنه

أقل من الأرض حجما أصفر اللون كما لو كان مذّهّبا وبالقرب منه على اليمين باقة أزهار و على يساره باقة أخري وبه ثلاثة أطفال ،بنتان وولد ثم نواصل الطريق بعد القفص فنضع كيسا صغيرا من الرمل على قدر ما يستطيع حمله رجل أو إمراه ثم نصل إلى الرقم 09 من الساعة الدائرية فننصّب جزءا من الأرض أيضا كما فعلنا في الرقم 03 من الدائرة و نتقدم قليلا لنلق عصا ملقاة على أرض الركح قريبا من رقم 09 أيضا و بعدها حيث نقترب من الأرض نضع جلبابا أبيض خفيفا ومثل كل ذلك نفعل في الاتجاه المعاكس كما هو مبين في الرسم البياني المقدم في البداية .

وهكذا نكون قد جسّمنا المراحل التي سيمرّ بها كل من المرأة والرجل في هذه الدنيا من الولادة إلى الممات. (إلى آخر الأجل)

التعبير الحركي

يبدأ في الظهور (أو الخروج) من الأرض شخص شبه عار مستور العورة فقط ببعض أغصان الشجر متوحش أشعث أغبر طويل الشعر، خصوصا شعر الرأس الذي يُظهره كالإنسان البدائي الأول الذي كان يعيش في الأدغال و الكهوف و المغاور و الذي يشبه بشكل ما القردة المتطورة أو العليا الموجودة بعضها الآن على الأرض و التي تُعرف بالشمبانزي أو بقرود (راما) التي وقع العثور على أشكالها في معبد الاله الهندوسي (راما) كما يذكر بعض العلماء والتي تُعتبر أجدادنا جميعا نحن البشر و القردة الحالية و حالما يبدأرأس هذا الرجل في الظهور تُضاء الكرةُ (كما لو كانت تحتفي بمولده و بوجوده في هذا العالم) وفي نفس هذه اللحظة يبدأ في الظهور من الجهة الأخرى أيضا (اليسرى بالنسبة للمتفرج) من الأرض شخص امرأة شعثاء متوحشة مثلها مثل ذلك الرجل في هيئها البدائية، يخرج كل منهما إذن ماشيا على أربع وببطء شديد ثم يستقيم بعد قليل واقفا ثم يأخذ في السّير

على قدميه ببطء شديد أيضا ، يلتفت يمنة و يسرة كالأبله أو غير الواعي بذاته و بما يدور حوله .ثم يقوم بخطوات عديدة دون أن يتقدم إلى الأمام كثيرا إشارة إلى أن الزمن قد طال به قبل أن يتطوّر و يبلغ مرتبة الإنسان الواعي بنفسه والناضج أو المتطور المتحضّر، وهكذا و حتي يصل إلى الجزء من الأرض المنتصب على الرقم 03 من الساعة الدائرية فيدخله من الجهة اليمني و(على الرقم 09 من الجهة الأخرى) ليزع عنه أغصانه و شعره المنفوش على وجهه وبدنه الملطخ بالغبار والوحل ويخلّص نفسه من كل مظاهر الهمجية والتوحش، ثم يخرج كل منهما للمتفرجين بعد ذلك في ثياب نظيفة وفي هيئة لائقة وأنيقة كما هو حال الإنسان المتحضر الحالي ثم يواصل سيره مرفوع الهامة مُهذبا في مشيته مبتسما فرحا بنفسه حتى يصل إلى القفص فيُمسك بباقة الأزهار متأملا فيها ثم يدخل القفص ليجد الشخص الآخر وقد دخل هو أيضا من الجهة الأخرى وفي يده باقة الأزهار أيضا وفي الحين يُضاء القفص وتسكن الحركة بعد ذلك لبرهة من الزمن يخرج بعدها من القفص أطفال ثلاثة (بنتان

وولد) يذهبون في الحال إلى وسط الركح ليلعبوا بالزحلاقة يتداولون عليها جيئة و ذهابا (لإشعار المتفرجين بأن الحياة هكذا -كما في اللعبة- صعودا ونزولا، ذهابا وروا حا، نجاحا و فشلا، قوة وضعفا، أفراحا وأتراحا.. الخ) [ومن المستحسن أن يكون القفص مغلّفا من الداخل بما يخفي من كان فيه وشفافا في الوقت ذاته] ثم يخرج بعد ذلك بقليل الرجل و المرأة معا ويقفان متأملين في المكان كأنهما في حيرة من أمرهما أو أنهما يبحثان عن شيء ما قد ضاع منهما ثم يأخذ كل منهما بيد الآخر مُبديا فرحه وسعادته بلقائه و يأخذان يتنقلان معا في رحاب الركح (الدنيا) ذهابا و إيابا كأنهما يقضيان معا حياة سعيدة ثم شيئا فشيئا تأخذ العلاقة بينهما في التوتر فيشرعان في التجاذب كل منهما يريد الآخر لنفسه ويحاول السيطرة عليه فلا ينجحُ ويبقيان هكذا مدة من الزمن حتى يتعبا فيتخلى كل منهما عن الآخر تدريجيا ويمضي في سبيل حاله (كل في طريق) حيث يجد كل منهما كيسا مملوءة رملا (على قدر طاقته) فيحملها على كتفه ويسير بها مدة من الزمن أيضا ثم يلقيها (تعبيرا بذلك

عن ضرورة تحمل المسؤولية في هذه الحياة مهما كانت شاقة) ثم يجد كل منهما في طريقه وقد شاخ وتعب عصا فيُمسك بها ليتوكأ عليها ويستعين بها على المشي بعد أن أنهكه السير وأوهنه الهرم ثم يقترب من الكرة الأرضية (البالونية) فيجد بجانبها جلبابا أبيض فيرتديه بصعوبة وكأنه لا يريد ارتداءه ثم ينبطح ليدخل الأرض زاحفا على بطنه كما خوج منها. وبعد برهة قصيرة من السكون وعدم الحركة يخرج من يخرج من منفذها الأيمن رجل شبيه بذلك الرجل الذي فارق الحياة منذ قليل لتُلقي بتحية إلى الحاضرين المشاهدين تعبيرا منها على أن العملية هكذا تتكرّر على مدى الزمن (نموت ونحيا وما يُهلكنا إلا الدهر) كما تخرج من الجهة اليسرى من الأرض امرأة شبيهة بالمرأة الأولى لتلقي هي أيضا التحية على الحاضرين، مُعبرة بذلك عن نفس الأمر الذي عبّرت عنه المرأة منذ قليل، وإشارة إلى أن العملية هي هكذا متواصلة إلى الأبد ولا أحد بإمكانه أن يدري من أين جاء وإلى أين سيمضي.

تعبير الختام

تختتم المسرحية بأغنية الطلاسم لـ" إيليا أبو ماضي " التي لحّنها الفنان محمد عبد الوهاب وغناها ثم اشتهر بها بعد ذلك عبد الحليم حافظ والتي مطلعها:

(جئت لا أعلم من أين
ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
من أين جئت؟ وإلى أين سأمضي؟
لست أدري..
لست أدري)

وفي الأثناء وفي هذا الجو المفعم بالإحساس الوجودي والتأمل في الكون يخرج الممثلون في هدوء الواحد تلو الآخر ليُحيّوا المشاهدين ويودّعوهم على أمل اللقاء بهم مرة أخري في مسرحية مماثلة.

ويسدل الستار

المحتويات

مقدمة **5**

أمسرحٌ في زمن الكورونا؟ **5**

منامة ديناصور **15**

الفصل الأول **16**

الكرة المضطهدة (المشهد الوحيد) 16

الفصل الثاني: صراع الأباطرة **17**

المشهد الأول مشاهد فوتوغرافية على الشاشة 19

مشاهد فوتوغرافية أخرى: 21

المشهد الثاني 22

الفصل الثالث: منامة ديناصور **23**

المشهد الأول 23

المشهد الثاني 30

الشيخة **35**

المشهد الأوّل **35**
المشهد الثاني **38**
المشهد الثالث **41**
المشهد الرابع **46**
المشهد الخامس **49**
هوامش: 54

دُنيا **55**

التعبير المادي **59**
التعبير الحركي **61**
تعبير الختام **65**

المحتويات **67**